الفصل التمهيدى
جغرافية السند والهند والبنجاب

* التسمية
* المناخ
* الحدود
* وادى السند
* التربة والنبات
* الهضاب والجبال
* الأنهار
* التقسيم السياسى والجغرافى
* القبائل والأقوام فى السند البنجاب قبل الإسلام
* أهم القبائل العربية فى السند قبل الإسلام.

الوصف الجغرافى
لبلاد السند والبجاب

كانت شبه القارة الهندية فى القديم تنقسم إلى جزأين جغرافيين، فكان الجزء الأكبر يسمى بلاد الهند والجزء الأصغر يسمى بلاد السند والبنجاب.

تسمية بلاد السند

اختلف المؤرخون بشأن اسم بلاد السند، حيث أشاروا إلى أن الاسم القديم لبلاد السند كان "سندهو" الذى أطلقه أهل هذه البلاد فى بداية الأمر على نهر السند ثم أطلق الاسم "سنده" على المنطقة التى كان يجرى عليها الجزء الأسفل لنهر السند، كما أطلق اسم فارسى "بنجاب" أى المياه الخمسة على المنطقة التى كانت تجرى عليها الأنهار الخمسة لبلاد السند حتى الموضع الذى كانت تتجمع عنده تلك الأهالى بما فيها الجزء العلوى لنهر السند، وكان من المناسب أن يطلق الاسم "سند" منذ البداية على بلاد السند كلها، وهى الأرض الممتدة إلى مئات الأجيال وعرضها نحو مائة ميل التى أخضر كل جزء منها بفضل هذا النهر العظيم، ولولاه لكانت بلاد السند صحراء جرداء لا زرع فيها ولا حياة.

ويذكر بشأن الاسم سندهو بأنه كان اسما سنسكريتيا قديما لنهر السند والمنطقة معا، ويعتقد البعض بأن اليونانيين بدلوا لفظ "سندهو" إلى لفظ "أندلس" وأطلقوه على نهر السند نقلوه إلى شعوب أوربا، ويرى البعض بأن "سندهو" الذى كان اسما قديما لنهر السند معناه فى اللغة السنسكريتية "البحر" كما كان المراد بكلمة "سند" فى قديم الأزمان هو وادى بالسند.

ونجد هناك اسما قديما لبلاد السند عند اليونانيين وهو "سنتهوس" وقد ورد ذكره فى كتاب يونانى قديم مؤلفه غير معروف. بينما ذكر فى كتابه اسما صينيا

قديما آخر لنهر السند وهو "سنتهـو" يرجع تاريخه إلى ما قبل الميلاد فى الغالب، وربما أخذ اليونانيين اسم سنتهوس من هذا الاسم الصينى وأطلقوه على بلاد السند مع إضافة الحـرف الأخير وهو حرف السين، على أن الاسم (سنتهـو) يشبه الاسم المعـروف (سندهو) عند أهل السند قديم الـزمان وعلى ذلك يمكن لنا القـول بأن أقدم اسم لبـلاد السند هو "سندهو" بمعنى وادى السند، ثم خـفف بعد ذلك فى اللغة السندية إلى (سنده) وكتب فى اللغة الأردية (سند) فسميت البلاد عند العرب ببلاد السند ونهرها بنهر السند.

وهناك رواية شـرقيـة تقول بأن اسم السـند منسوب إلى "سند بن حـام بن نوح" ولا يمكن لنا الاعـتماد على هذه الـرواية لعدم وجود دليل تاريـخى عليه، وقد ظل الجـغرافيـون والمؤرخون العرب والفـرس بعد الإسلام لمدة عـدة قرون لا يعقلون شـيئا على تسمـية السند فى كتـبهم ومذكراتهـم، وإنما يطلقون اسم السند بصفة عامة على المناطق المحيطة بنهر السند الكبير، وإن اختلفوا بالنسبة لحدود بلاد السند.

المناخ:

يمكن لنا القـول بأن المناخ بصفة عـامة فى بلاد السند شـديد الحرارة سيـفا وشديد البرودة شتاء، والمطر قليل جدا فى فصل الصيف.

والمناخ فى جنوب السند معـتدل أى لا حار شديد ولا بارد جـدا فى معظم شـهور السنة، ولكن المناطق الجـبليـة منها باردة جـدا فى الشتـاء وحار جـدا فى الصيف، إلا أن الجهات الجنوبية من هذه المناطق تمتاز بالاعتدال.

والمناخ فى شمـال بلاد السند شديد الحـرارة فى الصيف وشـديد البرودة فى الشتـاء. وتعتبـر مدينة جيكب آباد الحـالية أشد المدن حـرارة ببلاد السند وربما فى القارة الهندية كلها.

والمناخ فى وسط بلاد السند معتـدل عموما بسبب وجـود نهر السند والنهار

المتفرقة الأخرى، ولكن المناطق الصحراوية به شديدة الحرارة صيفا وشديدة البرودة شتاء يمطر قليل بداخل السند لا بسبب الرياح، وإنما بسبب الانقلابات الجوية المحلية.

وموسم الحر فى بلاد السند يستمر لمدة سبعة أشهر كاملة، وفى الشهرين الأخيرين منها تبلغ درجة الحرارة من ١٢٠ إلى ١٢٥ درجة.

وتنقسم بلاد السند من حيث العرض إلى ثلاث مناطق مناخية، وهى: منطقة السند الشمالية العليا، ومنطقة السند الوسطى، ومنطقة السند الجنوبية السفلى، وأهالى بلاد السند يطلقون على تلك المناطق السماء بالترتيب: سيرو - فيكهولا - لارا. ولكن معظم الجغرافيين الأجانب يقسمون بلاد السند إلى قسمين كبيرين هما: السند الشمالية والسند الجنوبية، وبناء على هذا التقسيم ينطبق التقسيم السياسى أيضا عندهم فى الأزمان القديمة.

الحدود:

كانت حدود بلاد السند تتغير كثيرا فى العصور القديمة، بحيث كانت المناطق التى تقع فى قبضة حكام السند، يطلق عليها اسم السند، وفى عهد الملك داهر الذى كان يحكم بلاد السند قبل الفتح العربى كانت الحدود كالتالى، يحد السند من الشمال العربى منبع نهر جلهم وسلسة جبال كابل، وكانت هذه الحدود تمتد حتى نهر هلمند، وفى الجنوب الغربى كانت حدود إيران تتصل بالحدود الساحلية للسند عند منطقة مكران، ومن الجنوب كان يحد السند بحر العرب، ومن الجنوب الشرقى كان يحد السند خليج كش (كجة) وفى الشرق كانت حدود السند الشرقية تتصل بحدود الهند عند مدينتى راجبوتانة وجسلمير.

وفى عهد العرب كانت بلاد السند تتكون من الإقليم الشمالى الغربى ومنطقة البنجاب مع المنطقة المجاروة الممتدة إلى أرض أفغانستان حتى نهر هلمند، ومنطقة بلوجستان، بالإضافة إلى منطقة السند الحالية، ومنطقة كش (كجة) وكان هذه المناطق كلها تسمى بلاد السند فى عهد العرب.

والجغرافيون الغرب قد اختلفوا بشأن حدود السند فى عهد العرب، وقد ذكر بعضهم شيئا من التفصيل وبعضهم اكتفى بالإشارات البسيطة الغامضة والخاطئة أحيانا، ولعل ذلك كان بسبب الظروف السياسية التى مرت على بلاد السند، بحيث كانت بعض المناطق تخرج من أيدى العرب ثم تعود إلى حكمهم، ولذلك يصعب بيان حدود بلاد السند وتعيينها من أقوال هؤلاء الجغرافيين.

الصحارى:

سبق أن اشرنا أنه لولا نهر السند العظيم لكانت بلاد السند صحراء جرداء لا زرع فيها ولا حياة، ومع ذلك لا يزال جزء كبير من بلاد السند عبارة عن مناطق صحراوية شاسعة ذات صفات عجيبة، وأهمها الصحراء الشرقية.

يلاحظ فى الصحراء الشرقية أن رياح مالون الساحلية تحمل الرمال من الغرب الجنوبى لصحراء نهار وتسقطها على شكل هضبتين عظيمتين، ويتكون وسطهما واد طويل ممتد مع اتجاه الرياح، ومع طول الهضبتين إلى مسافات طويلة جدا.

السهول ووادى نهر السند:

يلاحظ أن معظم أجزاء وادى السند سهولة منبسطة خضراء، وهذه الخضرة مختلفة الأنواع، ويتوقف هذا الاختلاف على نوع التربة فى كل منطقة، فهذا ألقيت نظرة عابرة على وادى نهر السند الجنوبى من منطقة عالية فإن شبه من الأنهار تجذب الأنظار إليها، ويعتقد المشاهد أن هذه المنطقة التى تبلغ من الطول ٣٠٠ ميل والعرض بين ٣٠ إلى ٨٠ ميلا منطقة خصبة للغاية، فهو يشاهد فى ركن من الوادى سنابل والشعير واشجار القطن، وعلى ضفتى النهر بيوت الفلاحين ومخازن الغلات والقنوات وأشجار الزيتون، كما يشاهد فى ركن آخر من الوادى الهضبات الرملية والراضى البور المرتفعة عن سطح البحر، وكذلك يشاهد فى بعض أجزاء الوادى غابات صغيرة، بينما لا يشاهد فى سهول جتى

سالت وفى منطقة شهداء كوت وصحراء بت أى أثر للزرع أو للخضرة، بل يجدها منطقة صحراوية خالية من الحياة، ويشاهد فى جزء من منطقة روهرى ميادين ملئية بالمزروعات والخضروات، وفى الجزء الآخر منها مجموعات من الأشجار والأحواض.

ومن مميزات المناظر الطبيعية ببلاد السند أنه تكثر بها بحيرات صغيرة وأراضى وحلة كما تكثر بها والطيور المائية مثل الأوزة وأهم هذا البحيرات بحيرة منوجهر الواقعة فى منطقة دادو بالسند.

التربة والنبات:

من ميزة تربة بلاد السند أنها تختلف من مكان إلى مكان، وبالتالى تختلف المزوعات والخضروات والفواكه والأشجار، وإن التربة السندية عموما تمتاز بالصلابة، وأهل السند يمسونه "بكى" ولونها أصفر ترابى فاتح، ولذلك تكثر فى السند الأشجار الشوكية المتنوعة، وفى جهة من السند على شاطئ البحر يوجد نوع من التربة تسمى " التربة البحرية" أى التربة الرملية الخليطة بنوع من التربة البيضاء الدقيقة.

وفى دلتا السند تسمى التربة "التربة الخام" فمن ميزاتها أنها تجذب مياه الفيضان إلى جوف الأرض، ثم تتكون على سطحها طبقة أخرى من التربة، وهى الغرين الناتج عن رواسب مياه الفيضان، ولذلك تكثر النباتات التى تحافظ على الدلتا من أخطار البحر والأمطار والفيضانات، بحيث تقع فى الجهة العليا للدلتا غابة تمارسك وأسفلها الحشائش الطويلة التى تغطى الأرض فى هذه المنطقة.

وكانت الحرف لكثير من سكان بلاد السند قديما، رعى المواشى والإبل والأغنام، وكذلك صيد الأسماك والطيور وبعض الحيوانات فى مناطق مختلفة، كما كانوا يزرعون الغلات الضرورية ثم فى عهد العرب تحسنت الحياة فى بلاد السند قفى شتى المجالات، فى الزراعة والتجارة والصناعة وفى ميادين العلوم والفنون، بحيث تقدمت البلاد من كل ناحية.

الهضبات والجبال:

يقول العلماء الجيولوجيون بعد البحث والتنقيب فى المنطقة الجبلية الغربية ببلاد السند، وكذلك بمنطقة الهضبات الحجرية الواقعة على الأراضى العالية بوادى السند، بأنها قد تكونت فى الدورة الثالثة للتقلبات والهزات الأرضية الكثيرة، فظهرت هذه المناطق بعد انسحاب مياه البحر منها، وتدل على ذلك الآثار البحرية الباقية مثل الودع التى وجدت على عمق آلاف من الأقدام.

وأهم السلاسل الجبلية ببلاد السند يسمى (سلسلة كرنهار) وهى تقع فى الجهة الغربية بحيث تبدأ من الشمال الغربى للسند وطولها ١٥٠ ميلا وارتفاعها ما بين ٤٠٠٠ و٧٠٠٠ قدم.

والسلسلة الجبلية الثانية تسمى (لاكهى) وهى تقع فى الجنوب الشرقى لسلسلة كرتهار وتمتد إلى مسافة ٧٠ ميلا والطبقات العالية منها مكونة من طبقات جيرية والطبقات السفلية منها متكونة من طبقات نارية، ويصل ارتفاع هذه السلسلة إلى ٢٣٠٠ قدم.

وهناك سلسلة ثالثة تسمى (جبال راجبوتانة) التى تقع على الحدود السندية الهندية، وتعتبر من أقدم الجبال فى العالم، ويقع فى وادى هذه السلسلة إقليم كش (كجة) التابع لبلاد السند.

ومن مميزات هذه المناطق ببلاد السند، أنه تكثر فيها عيون ساخنة مفيدة للصحة، وتندر النباتات، ولكن تكثر الأشجار الجبلية الصغيرة والحشائش التى تستخدم كعلف للأغنام والمواشى، وبها أيضا بعض الحيوانات الجبلية، ومن أهم ميزات هذه المناطق الجبلية أيضا هو وقوع أودية أسفل كل سلسلة جبلية.

وكان هناك فى القديم طريقان تجاريان بالقرب من بحيرة منجهر، وكانت القوافل التجارية بالجمال تسير فى هذه الطرق لنقل البضائع من جهة إلى جهة أخرى حيث لم تكن توجد أسواق تجارية منظمة فى تلك المناطق الجبلية التى كانت

تعيش فيها القبائل السندية القديمة منذ زمن بعيد، وكان هذه القبائل كثيرا ما تهجم على القوافل التجارية وتنهب الموال والبضائع التجارية، وتضر بالمصلحة العامة، والدليل على وجود تلك القبائل قديما فى هذه المناطق الجبلية هو المقابر المنثورة هنا وهناك، وبالنسبة لهذه المناطق الجبلية لا توجد معلومات كافية فى كتب تاريخ السند.

الأنهار:

نهر السند: لقد اختلف الباحثون الغربيون والكتاب الشرقى من العرب والفرس والهنود بشأن الاسم القديم لنهر السند ومصدره، وأعطوا للنهر أو نسبو إليه أسماء كثيرة منها: سندهو - سنده - السند - مهران - سنتو - ملان - آب سند - بنج آب - أندلس - وغيرها.

وأما معظم الجغرافيين والمؤرخين العرب (فى القرون الثانى والثالث والرابع للهجرة) يذكرون اسما واحدا للنهر وهو (نهر السند) على أنه منسوب إلى اسم البلاد.

من صفات نهر السند: إن كل مظاهر النعم والخيرات من المزوعات والخضروات ومن لعقاقير والتوابل والأزهار والعطور، ومن الطيور والحيوانات التى تشاهد ببلاد السند بفضل نهر السند العظيم الذى أجراه الله من الإنسان، فماء النهر كلما وصل بقعة من الأرض جعلها خضراء يانعة وملأها بالحياة والرفاهية، مصداقا لقوله تعالى: «وجعلنا من الماء كل شيء حى» فلولا وجود هذا النهر لكانت بلاد السند منطقة صحراوية جرداء خالية من جمال الزرع وبهجة الحياة.

وينبع نهر السند من جبال كيلاس ببلاد التبت.

***

التقسيم الجغرافى والسياسى
لأقاليم بلاد السند والبنجاب

أولا: التقسيم الجغرافى:

كانت بلاد السند تنقسم قديما إلى أربعة أقاليم جغرافية وهى:

السند العليا والسند الوسطى والسند السفلى وإقليم كش (كجة).

السند العليا: تبلغ مساحتها ١٠٣٠ ميلا مربعا، وتقع فى غربها منطقة كش (كجة).

السند الوسطى: تبلغ مساحتها ٤١٧ ميلا مربعا، ويبلغ الطول فى الجهة الشمالية وكذلك الجهة الجنوبية ١٦٠ ميلا، وفى الجهة الشرقية وكذلك فى الجهة الغربية ٤٥ ميلا، ومن أهم مدنها القديمة مدينة سهوان.

السند السفلى: تبلغ مساحتها نحو ٥٠٠ ميل مربع، تمتد الجهة الشرقية منها إلى صحراء عمر كوت.

إقليم كش (كجة): يقع هذا الإقليم فى الجنوب الغربى لمدينة الور عاصمة بلاد السند على بعد ٢٦٧ ميلا.

ثانيا: التقسيم السياسى:

تنقسم بلاد السند من ناحية التقسيم السياسى إلى خمسة أقاليم هى: إقليم برهمن آباد، وإقليم سيوستان، وإقليم اسكلنده، وإقليم الملتان (البنجاب) وإقليم الور، وكان الور، عاصمة المملكة السندية عند فتح العرب لبلاد السند أى فى نهاية القرن الأول الهجرى (السابع الميلادى وذلك فى عهد الملك اهو.

إقليم برهمن آباد: كانت تقطع فى إقليم برهمن آباد من المدن سهيرة مثل النيرون والديبل ومناطق لوهانة وسهت وسمة وغيرها.

إقليم سيوسان: كانت تدخل فى نطاق هذا الإقليم منطقة البودهية ومدينة جهنكان حتى حدود مكران.

إقليم اسكلنده: كانت تقع فى دائرة هذا الإقليم من المدن القديمة مثل بابيا، وبوده وبور وغيرها.

إقليم الملتان (البنجاب): كانت تدخل فيه من المدن القديمة مثل سكهر وبرهمبور وكرور واشهار (شاهار) وكبة (كبنة) حتى حدود بلاد كشمير.

إقليم الور (أرور): كانت الور عاصمة بلاد السند ومركز هذا الإقليم ومقر الملك السندى، وكانت تقع من المدن القديمة مدينة كروان والقيقان ونيرهاس (برهاس) وغيرها.

وكان على كل إقليم حاكم برتبة نائب الملك من أقرباء الملك داهر الذى فى عهده فتح العرب بلاد السند.

* * *